

لَمَّا سَمِعْتُ الْمَدِينَةَ... ضَاقَتْ غُرْفَتِي

لَمَّا سَمِعْتُ الْمَدِينَةَ... ضَاقَتْ غُرْفَتِي

لَمَّا سَمِعْتُ الْمَدِينَةَ... ضَاقَتْ غُرْفَتِي

غياث المدهون

شعر



دمشق ٢٠٠٨
DAMASCUS 2008
عاصمة الثقافة العربية
ARAB CAPITAL OF CULTURE

كلما اتسعت المدينة ...
ضآقت غرفتي

المحرر المسؤول:
خليل صويلح

التنسيق الإداري:
يارا نصر

المدير الفني:
محمد الذهبي

إصدارات

الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨

المقر الرئيسي
العتيف - شارع عطا الإيوبي - بناء رقم ١٢
دمشق سورية

مجمع دُمر الثقافي
مشروع دُمر - الجزيرة الثالثة
دمشق - سورية
فاكس: ٣١١-٩٠٣
هاتف رياغي: ٩٣٥٠

www.damascus.org.sy

دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨
الأمانة العامة

كلّما اتّسعَت المدينةُ ... ضاقَتْ عُرفَتِي

غياث المدهون



دمشق ٢٠٠٨
عاصمة الثقافة العربية
DAMASCUS 2008
ARAB CAPITAL OF CULTURE

كَلَّمَا اتَّسَعَتِ الرَّوْيَةُ ضَاقَتِ الْعِبَارَةُ.

«النَّضْرِي»

إلى الشام

يقتلني الصيفُ المتسلُّ من شقوق الشام، فأزحف كالصدأ على أبواب هذا السجن الذي تحول إلى متحف، أنا الذي يجلس في المقهى خائفاً وخجولاً في أيام المحل، وضاحكاً بأعلى صوت أيام الجيوب المملوءة الماكرة، دمشق منزلي المتصدع، وقاسيون ندبتي. أنتشر في المساء كأبواق السيارات، وعربات الفول، ويعرفني الغرباء والسياح، ليس لي سياجٌ، ولا فرحٌ خان وجهي، إلا جاء معذراً من ضحكتي، أنا الخليط الغريب، الذي يعرش في سماه الفقراء وملابس الواجهاة، جسدي حقول من قمح يحترق، ولساني سليلٌ كالحذاء، يرمقني الشرطي والمعلم والرجل الغامض، فأضحك حزينا، ويبكون ضاحكين، دمشق لي ولن أسمح لأحد أن يقاسمني فراشي سوى الطالحين، أنا سلم النزول إلى الحضر العالية، وآثار اللصوص على الرمال، جسدي فندقٌ للراجلين، وكلامي أناجيلٌ صغيرةٌ أضعها الأنبياء، فاعتنقها الضالون، إذن، سأرمي الفتات للعصافير الشائكة، وأخصي المجد على الإسفلت، هكذا علموني في المدارس الحكومية، ثم أفلتونا كالأرانب لنمضغ أعشاب الخنوع، قلت لكم لن أسمح لأحد أن يتلصص على دمشق، عندما تستحم فاردة نهديها الصغيرين بحياء، لن أسمح لكم.....

أن.....

تمروا.

سأركلُ الكرة الأرضية
بلا أهداف

سأصعد سلّم الموسيقى
حتى الطابق الأخير

سأهدم بيت الشُّعر
وأسكن في الخيام

وحين يلدغني عقرب الساعة
لن أموت.

حينما تتحني الكلمات على نفسها
مثل قوس قزح
حين ينتحر الشعراء
لكي لا يموتوا من البرد.....
أو من غلاء الفرخ
حينما يصبح الشهداء
بلا أمهات
يغطون أقدامهم من فحيح الشتاء
سأركل جنسيتي
وأموت.

لو أن لي بحراً صغيراً
كنتُ أحمله معي أتى ذهبُ

وكنْتُ أعرفُ كيف أحضنه...

بلا بللٍ

وكنْتُ سكنتُ في أصدافه

.....

لو أن لي بحراً
لما أبجرتُ
ما أبجرتُ

....ما

ملاحظة : ما نافية لا محل لها من الإعراب.

لو أنتَ تكسرُ نايَ حزنكُ
لو تمزقَ دفتركُ

.....

لسجدتُ لكُ

.....

لكنكُ اخترتَ القصيدةَ زوجةً
من ذا تزوج مومساً إلا هلكُ

تعاليل

أركولوجيا

عندما نقبنا في اليرموك
ببحثاً عن تاريخ للمتاحف
لم نجد عيوناً خضراءَ وعيوناً سوداءَ
لم نجد شعراً أشقرَ وشعراً بنيّاً
وجدنا
كميةً
كبيرةً
من
العظام
البشرية.

عرّافة

أطفالُ الحفر يكبرون
أجسادهم لم تعد نحيلةً
وضحكاتهم أصبحت عاليةً
كضحكات الدمشقيين
قد تلمحُ على خدودهم بعض جروح الطفولة
وأظافر المخيم والأونروا
لكنهم لا يابھون (ظاهرياً)....
بالفقر والفتيات

يدعون الرجولة
أطفال الحضر ما زالوا أطفالاً
لكنهم يلبسون رجالاً
على عظامهم المشبعة بالرطوبة
....ويدخنون أي شيء تقع عليه أصابعهم
إنهم يخرجون الآن نحو المدينة
حفاةً....

عاريين.... لابسين
راجلين..... راكبين
فانتظريهم أيتها الأرض...
...انتظريهم
.....إنهم قادمون

غرناطة

جارتى مشبعةً بالنساء
يفيض صدرها عن حاجة الحارة ومراهقيها....
لكنها حين تظلُّ وحيدةً في الليل....
تبكي.....
كالرجال

جاليليو

هي لم تنحن لتلتقط شريطة شعرها...

لا.....

الأرض هي التي (استدارت)

لتلمس كفها .

دمشق

كلما اتسعتِ المدينة.....

.....

..... ضاقت غرفتي.....

ستة مليارات

تصادفهم كل مساء
وتلمح وجوههم في الزحام
يجلسون بجانبك في السرفيس
وأمامك في طابور الفرن
ترى
..... ما هي أسماؤهم؟

شفافية

يساقط المطرُ...
وبين الدفء... والبردِ
لوح زجاجٍ شفافٍ...
ليس إلا

يشتهي حذاءً
وبين القدم والحذاء
لوح زجاج شفاف...
ليس إلا

يمر السلطان

وبين الشعب وبينه...

لوح زجاج شفاف

....مضاد للرصاص

....والقنابل

....والمتفجرات

...الموجهة عن بعد.....إلخ

إلخ.....

ليس إلا

بلادُ الموت

الفانوس

ماذا تريدُ...؟
 أريدُ أَنْ أَتَمَمَّصَ السفنَ الغريقةَ...
 كي أحسَّ بنكهةِ الملحِ المعتقِ في الخشبِ
 وأريدُ أَنْ أرثَ البيوتَ بساكنيها
 ذكرياتِ خزانة...
 وأنينَ تحَّتِ
 مشجباً...
 وهمومَ كرسيِّ قديمٍ..
 كي أرى دفءَ المنازلِ عن كذبِ
 أحتاجُ ما لا حاجةً للناسِ فيه..
 بكاءَ طفلٍ..
 فائضَ الأموالِ...

حزن الأنبياء
 سفينة البن التي تُرمى بماء البحر..
 كي لا يخسر التجارُ
 قائمةً بأسماء الذين استشهدوا...
 كي يكبر الوطنُ المصدرُ في علب
 ماذا تريد!!

 يا صاحبي
 هيهات أن يصلَ البريدُ .

يحدثُ أنَّ

هنالك ما يجعلُ الموتَ مُستسخأً
 عن هديلِ القطارِ
 وعن قُبَعَاتِ الجنودِ التي ما استطاعتْ ...
 حمايةً تفاحةً ... حين ماتوا ... !!
 هنالك ما ينثني في الشرايينِ
 يدعكُ أعصابنا ... بالهسيسِ ...
 وينسلُّ قبلَ الصَّباحِ ...
 ليتركنا غائمينَ عنِ الوعيِ ...
 يحدثُ أنَّ هنالك ...
 في المدنِ الجانيَّةِ ...

من يعبرونَ إلى حانةِ الوقتِ
 لا يبسمونَ لمنْ تركوهمْ على سَلَمِ الشُّعْرِ ...
 ضاقتْ بهمْ فسحةُ الرُّتَيْنِ ...
 وجدرانُ أيامهمْ نحوهمْ باقترابٍ
 هنالكَ من يكتبونَ الوقوفَ ...
 وأقلامهمْ حانياتُ

.....

كأنَّ

على

ضفَّتِيهمْ

فراةُ.

لا تشركُ

وإن أقحموك شريكاً
فلا تشركُ
واكظم الغيظُ ...
حتى يمسك من شمسنا إصبعُ
وتسطع في ساعديك
أظافرُ من أسلموك إلى الذئبِ
لا تنفرد بالخيانة !!
إن الذين يخافون من موتهم
لن يعيشوا طويلاً
ولن ينجبوا أغنياتٍ
لأبنائهم
سوف تقتلهم نوبة من ضحك
في بلاط الملك .

بلادُ الموت

ذهبوا.....
 فعادتْ دونهم قمصانهم
 كلُّ الذين عرفتهم
 مُذَّ أجهضتني في بلادِ الخوفِ أُمي
 شاحبون!
 الآن صرْتُ أرى ...
 وأفهمُ ...
 هالةَ الموت التي تعلو على سُحناتهم
 الآن أدركُ أنهم
 مُذَّ أنجبتهم أمهاتُ في بلادِ الموتِ
 ما عرفوا الحياةَ !!
 الآن أعرفُ لم هم ...
 أحياءُ ...
 لكنَّ في ملامحهم
 ترى شكلَ المماتِ .

سوزان

كلُّ شيءٍ كاملٌ
 سوقُ الحميديةِ
 ما زالَ على حالتهِ
 مزدحماً بالناسِ
 والسياحِ
 والفوضى... تماماً
 ومقاهي الشامِ ما زالتْ حزينهً
 ودمشقُ اليومَ إسمنتٌ ...
 تخفى في ملاءاتِ المدينةِ
 كلُّ شيءٍ كاملٌ

كم حسبت أضلعها الشامُ ...
 ولم تشعرَ بأنَّ الغوطتين اليومَ فيها ...
 ناقصاتٌ يَسمينه
 كلُّ شيءٍ كاملٌ ...
 لا أحدٌ يذكُرُ شيئاً
 عن فتاة ...
 أبحرتُ دونَ سفينةٍ ...
 كلُّ شيءٍ كاملٌ .

شهيد

لم يُلامس فتاةً ولمَّ ...
 يتذوّق شفاهاً ولمَّ ...
 يسترحّ فوق تفأحة امرأةٍ عابرةٍ
 كان حزنَ المسيح ...
 وأنشودةَ الناصرةِ
 كان شكلَ العدمِ
 وانفرازَ الحقيقةِ في الخاصرةِ
 ماتَ لكنه لم ينمَّ .

تلميد

خطوةً ...

طلقتين ...

ثلاث سنابل

هكذا علمته البلاد ...

دروس الحماسة

لكنه لم يقاتل .

حرب البسوس

الزيرُ سالمٌ

.....

.....

.....

.....

.....

لم يسالمُ

دفتر العائلة

لا أعرفُ من أينَ تَوَكَّلُ الكتفُ
ولا أعرفُ كيفُ تورِدُ الإبلُ

.....

لذلكَ

أصبحتُ شاعره

وأصبحوا

قبيلةً

عابره ...

هباءٌ كلُّ ما كتبَ ابنُ خلدونَ
الوصايا لم تعدْ تكفي لإقناع الحواريين
حتى طائرُ الفينيقي لم يسلمَ من الصيادِ

المرايا

«الشعرُ هو الظلُّ أو الانعكاسُ»

• أفلاطون

«إنَّ عقلَ الفنان لا بدُّ أن يكون كالمِرآةِ التي

تتلبَّسُ لون ما تعكسُ»

• ليوناردو دافنتشي

المرايا..

ما المرايا..

ما الذي يدريك ما سحرُ المرايا؟

كيف للعكس الذي في فضاء

أنَّ يصبحَ الحقُّ

وتغدو سُحنةُ الموتِ حياةً

والتجاعيدُ اخضراراً...

والقديماتُ صبايا

والمرايا...
صورة الأرض على ماء البحيرات
السراب المنتمي للحر في الصحراء
ضوء القمر الشاحب
حتى ظلنا المرسوم فوق الرمل...
جزء من مرايا

والمرايا...
فضةُ الروحِ على الروحِ...
وتلوينُ الحقيقيِّ بوهمٍ واضحٍ...
كالغولِ والعنقاءِ في عُرْفِ الحُكَايا

والمرايا...
 واقعٌ يحوي خيالاً...
 أو خيالٌ واقعيٌّ
 يصعبُ التفريقُ بين اللحمِ واللاحمِ
 بين الموتِ والقتلِ
 وبين اللفظِ والمعنى...
 وبين الذاتِ والمرآةِ
 لا فرقٌ... كبيرٌ
 لا اختلافٌ...
 قاسمٌ مشتركٌ بين تقيضينِ
 مرآيا... عاكستٌ فينا المرآيا

والمرايا...
ضحكةُ الجنديِّ للجنديِّ ...
قبلَ الامتحانِ الصعبِ ...
-هل أنتَ أنا...؟
أم صورتي؟
أم أنَّها المرأةُ تحوينا معاً؟
فافضلْ أناكَ الآنَ مني ...
واقترفني ...
كي ترى نفسيَ أنايا

والمرايا...
ظَلْنَا مُذْ قَالَ أَفْلَاطُونُ أَنَّ الشَّعْرَ ظِلٌّ
وانعكاسٌ في مرايا

والمرايا ...
شفرة للموت إن هسَّمتها
ملساء كالسكين
أو بيضاء كالماء الشفيف المنتمي للغيوم
نصل لانتجار غامض ...
أو مدية للقتل... أو نحر الضحايا

والمرايا ...
بعضٌ وحي من أساطير بلاد الشرقِ
في موروثنا ...
تملكها ساحرةٌ
أوقد ترى عرافةً فيها "علي بابا" ...
فتحدثُ الحكايا

والمرايا...
دفتُرُ الوقت الذي يخفي تفاصيلاً...
نفضُ الطرفَ عنها...
ثم نأويُّ لانتحالِ العيشِ كي نحيا...
بلا ديمومة الروتين
حين الواقعُ المعكوسُ يأتي...
نسخةً لا روحَ فيها

والمرايا...
 نعمة للضوء
 بعد رابع للحلم...
 لون للحياض المحتفي بالماء
 شكل للنعاس الحلو
 رسم خافت للروح...
 عمق للسكون الهش
 نسخ...
 لوحة مائية
 رائحة للبعد
 تزوير جميل
 عالم واه... رقيق صامت...
 من لكمة يغدو شظايا

والمرايا ...
مثلما رزنامة للعمر تُحصي ...
وقتنا الباقي لدينا ...
كلما شخنا تشيخُ الصورةُ العمرُ
وتنفُضُ الصبايا

والمرايا ...

نحن في سجن المحاكاة
ضحكنا ... تضحك المرأة
نبكي ... تشهق المرأة
نحتج ... فتحج ...
نفني ... فتغني ...

والمرايا ...
خلة المغرور يهدي ...
لا أرى شيئاً سوايا

والمرايا ...
طفلةُ الطَّبِّ الحديثِ
الوصلُ ما بين البسيطِ المنجلي ...
والتكنولوجيا ..
مُدُّ عرفنا أنَّ للضوءِ مزايا

والمرايا...
تُحفةٌ تُبتاعُ في سوقِ المزاداتِ
بسعرٍ فاحشٍ...
كي تعكسَ التاريخَ في بهو السرايا

والمرايا...
آخر يهزأ منا...

والمرايا ...
نفسها لم تختلف ...
لكنما نحنُ اختلفنا ...

والمرايا ...

مثلما موسى ...

رأى النورَ على الطورِ وصايا

والمرايا...
رَبِّمَا نَحْمَلُهَا فِي عِيدِ مِيلَادِ سَيَّاتِي ...
ذَاتَ عَشَقٍ
رَبِّمَا قَدْ سَوْفَ يَأْتِي...
لِحَبِيبٍ
رَبِّمَا قَدْ لَا يِيَالِي بِالْهَدَايَا

والمرايا ...

امراً

تكشفنا حين نؤدي دور عشق زائف

ثمَّ كما نحنُ بلا أيِّ ابتذالٍ

تحتوينا

والمرايا ...
رؤية المرأة للكنز الذي تُخفي
وإحساسٌ بسحرٍ غامض...
يسري لإشباع الغرور الأنثوي...
المنتمي للشرق فينا

والمرايا ...
 بيتُ سرِّ المرأةِ الواهِيَّ ...
 ومفتاحُ الدخولِ المرِّ للتفاحِ الأولى
 بسحرِ أخضرٍ
 تعويذةِ الأنثى...
 وأغلى قطعةٍ في علبَةِ المكياجِ
 خلٍ من زجاجِ
 وصديقٍ حينَ قلَّ الأصدقاءُ
 السافرونَ عن النوايا

والمرايا ...
توأم المرأة
والمرأة والمرأة ...
نبضان لنفس القلب
موتان لذات الروح ...
حقيقي ... ووهمي ...
كظلين لوجهي عملة واحدة
والفرق ...
كالتفريق بين الموت طعناً ...
أو بثقب الطلقة الصمء
ترسو في حشايا

والمرايا ...

خجلُ الطفلةِ من تفاحتِي صدرِ

يشقَّانِ القميصَ الرَّخْوَ

كيما بيتدي عهدٌ جديدٌ

" يا قميصي ...

لا تؤاخذني لأنِّي ...

دونما إذنِ هجرتُ الطفلةَ البلهاءَ خلفي "

والمرايا...
طفلةٌ قالتْ لغيبٍ في الوصايا ...
هات لي صدرًا ...
وخذْ منِّي
صبايا .

أصدقائي

ساورتني دمشق...
 وكنت أكنسُ أحياءها
 كنتُ أصفر من جوعها...
 وحيداً..
 وأنزفُ بالأصدقاءِ
 ذئابُ ولكنهم أصدقائي..
 سكبُ ملامحهم في جيوبي..
 وخبأتهم حين أمطرتِ الشامُ
 أطعمتهم غرقتي..
 كنتُ حين يواعدُ أيُّهم امرأة..

كنتُ أكذبُ
كي يتباهوا قليلاً..
وأمطرها بالبطولاتِ والرائعاتِ التي ارتكبوها
ولكنني....
حينما لم أقاسمهمُ كسرتي أنكروني
ذئابٌ ولكنهم أصدقائي..
لهم شكلُ قبر...
يفيضُ على لغةٍ.. وأدَّتْ كاتبها
ومن كرزِ الذكرياتِ يطلونُ
من شرفاتِ تُمَدِّدُ أعناقها
لم يعيشوا طويلاً..

لكي يتركوا ما يدلُّ على أنهم عابرونٌ
سوف لن يرجعوا حينما يرجعون
ساورتني دمشقُ
وكانت توزع أئداءها للجياع
وكنْتُ الملمُّ حَبَّاتِ سُبْحَةِ أَفَلَتَتْهَا
أناذي على الذاهبينَ إلى قاسيونَ ...
أَنِ ارْمُوا دَمِي
مطراً فوق بابِ الصغيرِ

ومن أصدقائي..
 تعلّمتُ أنْ أسرقَ الخبزَ..
 كيلاً أعيشَ وكيلاً يموتوا
 ذئابٌ ولكنهم أصدقائي..
 تراهمُ.. كأنَّ لهمُ حذبةً.
 وتعرفهمُ دون سابقِ سكرٍ..
 لهمُ سحنةُ الميتينَ..
 وإيماءُ مدفأةٍ في الشتاءِ
 سكارى وما همَّ سكارى
 ولكنهمُ شربوا فوق طاقاتهمُ

أصدقائي..
بعضهم ما استطاع احتمال الحقيقة..
فابتاع أول عاصمة.. دثرته بحاناتها
كل عام يعود إلى الشام
كي ينفض الثلج عن جلده
ويحدثني عن عواصم تحترم الناس
أنى يكونوا

ويخبرني هامساً أن للعرق البلدي اشتهاً
يفيض على أي خمرٍ
وحين نزل وحيدين ...
يمنحني حفنةً من نقودٍ
فأخذها دونما خجلٍ ..
كيف أخجل من أصدقائي ..
ذئابٌ ولكنني مثلهم
مثقلٌ بالخطايا ..
سأملوهم فجأةً بالذهاب

أجِيءُ كَأَنَّ عَلَى ثَاقِلِيَّ .. أَغْنِيَاتُ
وَأَطْلِقُهُمْ كَالجِيَادِ عَلَى عَشْبٍ رُوحِي
سَأَكْسِرُ شَبَّكَ صَدْرِي لَكِي يَقْرَؤُوا
مَا تَتَأَثَّرَ مِنْ وَجْعِي خَلْسَةً
أَنْتَقِي مِنْ خَزَانَةِ أَيَامِنَا ..
مَا يَلِيْقُ بِأَحْزَانِهِمْ ..
مِثْلَ أُمَّ
أَدَاعِبُ خَصَلَاتِ أَيَّامِهِمْ ..
كِي يَنَامُوا ..
وَأَسْرِقُهُمْ مِنْ مَنَادِيلٍ مِنْ وَدَّعُوهُمْ ..
وَلَمْ يَذْرِفُوا دَمْعَةً ..
أَنْشُرُ الْخَمْرَ سَجَادَةً عِنْدَ أَقْدَامِهِمْ كِي يَمْرُوا
حِفَاةً إِلَى فَسْحَةِ اللَّيْلِ ..
أَهْذِي بِهِمْ

أصدقائي...
بقايا أناس..
مشى الركبُ من فوقهم..
هَلَكَتْ نَصْفُ ضَحَكَاتِهِمْ بِالتَّبْوِغِ الرَّدِيئَةِ..
أما البقايا..
تَكْفَلُ الخمرُ في هتكها

أصدقائي..
بعضهم أطفؤوا شمعة العمر..
ماتوا اختناقاً
وما احتملوا
غاية الشجر المعدني
تكبّل أنفاسهم
كلما شهقت رئاتهم تفتش عن ياسمين
رمتهم دمشق بإسمنتها
بعضهم سرقتة النساء..
إلى عشاها
فاستفاق من الجنة المشتهاة
على صرخة الطفل..
صار أباً

بعضهم سارَ نحو القصيدةِ
 لم يرتكبَ غيرها
 بعضهم.. قبل أن تُشرقَ الشمسُ..
 جاؤوا إليه..
 دعوهُ لكي يحتسي قهوةً..
 ثمَّ ما عاد.. ما عاد..
 لهفي على أمِّه
 أهْ لهفي على أصدقائي
 سأحرسُهم من لصوصِ الحكايا..
 وأورثهم غصَّتي..

سوف أتركُ فوق دفاترهم خربشاتي..
وفوق مراياهم صورتي..
سوف أتركُ كأسَي مليئاً..
على كل طاولة ضاجعوها
وأرفعُ نخبَ.. حضورهم في غيابي
وأرسلُ روعي بريداً..
أزفُ لهم حُرقتي..
سوف أنسجُ صوفَ الأحاديثِ شالاً على جيدهم

أصدقائي
سنرجعُ في ذاتِ شام...
لكي نحتسي الشاي خبزاً
ونرمي تفاصيل.. ذاكرة.. أشبعتنا
إلى بردي
ثم نمضي.. لزوجاتنا..
كالجنود..
إلى الحربِ بعد انتهاءِ الإجازةِ
نمضي..
ليتسع الموتُ أكثر..
أكثر...

فِي كُلِّ صَيْفٍ
 وَنَسِيَ جَمِيعَ التَّفَاصِيلِ...
 لَكِنَّا نَتَذَكَّرُ دَوْمًا..
 حِكَايَاتِ جَدَّاتِنَا
 عَنِ ذُنَابِ تَصِيدٍ مَعًا /..
 وَتَمْشِيٍّ مَعًا /..
 وَتَعْوِيٍّ مَعًا /..
 وَلَكِنَّهَا حِينَ يُجْرَحُ وَاحِدَهَا.. صُدْفَةً /
 تَشْمُ دَمَ الذَّكْرِيَّاتِ
 فَتَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهَا مَعًا..

أصدقائي...
 ذئابٌ لهم ضحكٌ طفلٍ..
 براءةٌ ناي
 وأحلامٌ نورسة..
 إنما ...
 حينما لم أقاسمهم كسرتي ...
 أنكروني..

.....

.....

..... ولكنهم أصدقائي .

حان قتلي

لقد حان قتلي ...
 ولما أزل حائراً ...
 كيف لم تقتلوني
 ورحتم تخيطون ما مزقت ساعداي بأعراضكم
 نصف أولادكم من خطاياي فيكم
 ألم تلحظوا أنهم يشبهوني
 ألم تسمعوا رجفة في حناجرهم ...
 وبريقاً بأعينهم ...
 كلما مرّت امرأة في الطريق
 ألم تشعروا بارتفاع حرارتهم
 في مواسم عصر الكروم
 ألم تأتكم بيناتي تباعاً وأنكرتموني



لقد حان قتلي ...
 اقتلوني
 اقتلوا ذلك الوحش في داخلي
 طهروا الأرض من خطوتي
 والمقاهي من ضحكتي
 والدفاتر من خربشاتني
 احفظوا ماء وجه لكم
 واقتلوني



سأعترفُ الآنَ أنَّ الخطيئةَ أصغرُ مما ارتكبتُ
وأنَّ جميعَ الذنوبِ على هذه الأرضِ تافهةٌ
وأني احترفتُ خيانتكمَ مهنةً
لم أدعْ خصلةً دونَ كفي
قطفتُ إجازاتكمَ كلَّها
واحتسيتُ جميعَ الكؤوسِ التي في يديكمُ
ولم أفتعِ



سأدخلكم مضجعي
 سأدخلكم حيثُ نسوتكم قد مررن
 سيعرفُ أغلبكم صدقَ قولي
 وينكرُ....

أغلبكم صدقَ قولي
 وحين تلاقيني عيوني بأعينكم
 ستكتشفون بقايا نساءٍ لكم
 فوقَ تختي...
 وفي أضلعي

سأدخلكم مضجعي
 فلا تصرخوا كالرجال
 ولا تمسكوا شعرةً من شواربكم
 كالرجال
 ولا تحلفوا بالطلاق
 أنا الثعلبُ المستيخُ دجاجاتكم
 وكلُّ القضايا تحلُّ معي
 ولما أزلَّ حائراً ...
 كيفَ لم تقتلوني
 ولم تطلبوا مصرعي



أنا البابُ يعصفُ ريحاً بكم
أغلقوني
أنا دملُ القيحِ في جرحكم
فافقؤوني
أنا القدمُ المستباحةُ بالفرغرينا
ابتروني
أنا بيضةُ الدِّيكِ ...
حلاجكم ...
فاصلبوني



.....

..... أقتلونني

شاعر

من رِيشَةِ البِردانِ
 من قُبَلِ المِطارِ الحِزِينِ
 وانتِشارِ الحُلُمِ كالكوليرا..
 وفرحةِ عامِلِ التَّنْظِيفِ..
 من ثِقَبِ عَلى سَورِ الحِياةِ
 ومِن فِضاءِ السِجِنِ
 مِن أَلَمِ الجِدارِ..
 وسوسِنِ المَعنى البَعِيدِ
 مِن القَبِيحِ الوِجهِ
 مِن ماءِ الوِضوءِ..

من الرتابة فيزنا الأزواج
من ألم المخاض...
وعورة الطفل الصغير
من الدريئة...
حين يتشبها الجنودُ العاطلونَ عن القتالِ
من الخيال...
ولذة الساديِّ
من أهزوجة العرسِ الفنيقيِّ
الحزينِ

من الخواتم حين نُلقِيها إلى بردى
ونمضي...
من فروع الأمن..
من حرية العصفور..
والموتِ المباحِ..
من حياضِ الماءِ...
من كرزِ النساءِ...
ورشوةِ القاضي...
من الحزنِ السعيدِ...
وفسحةِ التابوتِ..
من دفعِ النريفِ...
ولعبةِ الأقدامِ تحت الطاولاتِ

من الغريبِ عن الشوارعِ
 من نعاسِ الوردِ..
 من توليفةِ الفوضى..
 وحلوى العيدِ..
 من شجرِ الكلامِ
 ومنجلِ الجلالِ
 من عهرِ الحقيقةِ..
 والترددِ قبل كأسِ السُّمِ..
 من دمِّعِ الرجالِ..
 وقسوةِ البدويِّ
 من زرِّ القميصِ
 ودقَّةِ القنَّاصِ

من جسدِ الطريقِ
 وشفرةِ السكينِ
 من رجعِ الصديّ..
 من شهوةِ الرهبانِ..
 واستجداءِ عابرةٍ لتقضي ليلةً

من رقّةِ السكرانِ..
 من حلمٍ يكرّرُ نومهُ
 من خبرةِ الأسوار..
 من قمحِ الفيومِ..
 من الخدرِّ

.....

.....

يأتي... صريحاً
 مثلما يأتي المطرّ.

شروق

لذلك المتماهي في عيون صديقة
 لوجه بكى نخلاً على تعبى
 أمدُّ ساحات روجي كلما عطشٌ
 مسَّ الحديقة
 أو ضاقت على ضحكاتنا ...

دموع أبي
 حزنٌ يزنُّها ...
 صحراؤها كرمة

لا حرساً يحمي عناقيدها
 خذني لها مطراً ..
 يا أيها المطرُ

أنا الذي يتمشى في أنوثتها
 بكاملِ الرجلِ الموجودِ في دمه
 خذني لها مطراً ...
 يا أيها المطرُ

تفأحها قمرُ .

في الليل

شاعرٌ في الليلِ ...
أما في النهارِ
فعاطلُ
عماً يبيلُ لي دمي
لم يبقَ في قاموسٍ من سبقوا مجيئي
أية امرأة
تراوِدُ فكري عن نفسها
كل اللواتي قد غرقنَ ببحرِ أغنيتي
سألظهنَ فوق شواطئ المعنى ...
قصائد

ثمَّ أمضي نحو خاتمتي يتيماً
أو ...

(على قلقٍ كأنَّ الريحَ تحتي)

زَمِّليني

سوف أحترفُ القصيدةَ مرَّةً أُخرى

وأبكي مثلَ ينبوعٍ قتيلٍ

أية امرأةٍ ستكفيني

لأنَّتهزَّ الحياةَ على سجيَّتها

ولكنَّ ليس تكفي

أية امرأةٍ

لأنسى ...

حزنَ وجهك

حين تبصقني دمشقُ إلى شوارعها

سَمْتُ
من التسلُّ كاللصوصِ
لأسرقَ التفاحَ من نهديكِ
فانتشري أمامي كاحتفالٍ
وارقصي نخلًا على رملي
فإنِّي مستقيلٌ من مواويلِ كتبتُ
ومن بهياتِ عرفنَ مواجعي
قومي تعالي
إنني هذا النهارَ
وحيدةٌ كفي
وفي أيلولَ متسعٌ لأهمسَ :
...
لا أحبك .

الجنّازة

يقولون لا تبعّدْ وهُمّ يدفنونني

وأين مكانُ البعْدِ إلا مكانيا

• مالك بن الربيب

- موت :

كانت حياةً وانتهتْ

عصفورُ هذا القلبِ غرّدَ عالياً...

هبّتْ رياحُ العتمِ لكنّ ما سكتْ...

كانت حياةً وانتهتْ

دُمّ..

تَكُّ ... تَكُّ ...

تَكَّتْ... دُمّ

يا شامُ لم تكف الحياةُ
 لكي أساكنَ حارةً أخرى
 ولم تكف الحياةُ...
 لكي أجربَ حارةً أخرى
 ولم تكف الحياةُ ...
 لكي أمارسَ مهنةَ التجوالِ حول الجامعِ الأمويِّ ...
 حجاً ...
 مرةً أخرى ...
 فسبحانَ الذي أسرى بوجهي نحوكم ...
 ليلاً وأرسلني لكم
 دمَّ ..
 نكَّ ... نكَّ ...
 تكتك ... دمَّ

يا شامُ ما ضاجعتُ أنثى دون علمك
أو سرقتُ إجازةً ...
إلا بتصریح من النَّهرِ الذي يرتادُ مضجعك القديمَ
ولا كتبتُ قصيدةً ...
دون استشارة كلِّ فاتنةٍ مشتَّ في شارعِ الحمراء
لم أرشفتُ نبيذاً ... ذاتِ بردٍ ...
دون أن يلفتَ حولي ساعداك ...
ولم ألامسُ فتنةَ امرأةٍ سوى ...
ما قدمتُ كفاك لي ...
قربانَ صحوتنا الحُلْمِ



- عزاء :

أبناء عمي ...

أخوتي ...

كلّ الذين أحبهم ...

همّ

كلّ الذين تشبثوا بقصيدتي ... همّ

كلّ الذين كتبهمّ ...

طفلات روعي العبارات بحقل الغامي ...

حفايا

كلهمّ ...

مالوا على جسدي المسجّى ...

وشوشوني دمعهمّ

أبناء عمي .. إخوتي ...
كلّ الذين أحبهم
أنا لم أحنّ عهداً ...
ولم أهدر بكم
لكنني أحرقتُ آخرَ شمعةٍ في العمرِ قبلَ شموعكم
والآن تمشونَ احتفالاً بي ...
لأنّي ما احتفلتُ أنا بكم



- تصریح :

هي آخر الميتات أدخلها ...
بملاء إرادتي ...
لا أنحني للباب مهما ضاق ... ضاق ...
ولا أطأ طي نخلي للريح ...
أدخل مثلما الرومان نحو قصيدي ...
وأفضل الموت السكون
أنا اليتيم ...
أنرت مصباحي لأبحث عن دمي ...
مالي أب ...
لكن لي ...
في كل زاوية بأرض الشام ... أم



- سؤال :

هل كَانَ صوتكَ " مالكَ بنِ الرِّيبِ " ...
أعلى من دَمِي ؟
هل كنتَ ترثيني بلا قصد تُرى ؟
أم أننا سيَّان في زمنين مختلفين ...
راهنَّا على فرسِ الحياةِ ...
ولم تَدُمَّ



-الجنّازة:

لو تنزلوني ... كي أسيرَ أمامكم
 وأرى الجنّازةً مثلكم
 لو تنزلوني ...
 سوف أهربُ
 كي أقبلَ حضنَ أمي مرةً أُخرى ...
 وأعشقَ ... مرةً أُخرى
 وأسهرَ مرةً أُخرى ...
 وأبحثَ في حوارِي الشّامِ عن ذكرى ...

لوتنزلوني
 كي أضاجع حانّة أخرى ...
 وأقرأ شعر "كافايي" و "رامبو" مرةً أخرى ...
 وأضحك ملء هذا القلب
 أقسم ملء هذا القلب ثم أضمكم
 لوتنزلوني ...
 كي أسير جنازتي ما بينكم



- قِيَامَةٌ :

دُمَّ..

تَكَ ... تَكَ ...

تَكَتَكَ ... دُمَّ

يَا رَبُّ لِمَ أَحْفَلُ كَثِيرًا بِالْوَصَايَا الْعَشْرِ ...

صَاحِبْتُ الْكُرُومَ إِلَى مَعَاصِرِهَا ...

وَتَعَتَّعْتُ الْمَدَامَةَ مَهْجَتِي وَأَنَا أَدُورُ ...

مَعَ الدَّرَاوِيَشِ ابْتِهَالًا كِي أُرَاكَ

وَأَنْتِ وَاعِدْتِ الَّذِينَ تَحِبُّ أَنْهَارًا

مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي حَرَّمْتَ ...

لِمَ أَصْبِرُ ...

شَرِبْتُ ... شَرِبْتُ ...

كِي أُرْتِ النَّهْيَةَ بَاكِرًا ...

يا ربُّ لم أحفلُ كثيراً بالوصايا العشرِ
عرَّيتُ النساءَ كموزةٍ ...
ورميتُ قشرتها ...
وهمَّمتُ بكلِّ ما خلقتُ يداك من الإناثِ ...
أحبُّهنَّ ...
وأعلنُ الآن الخطيئةَ جاهراً ...

لو خيروني عيشةً أخرى ...
لعدتُ اخترتُهِنَّ ...
بكلِّ ما أُوتيتُ من شغفِ الحياةِ ...
بكأسِ ماءٍ
يا ربُّ لم أحفلُ كثيراً... بالوصايا العشرِ ...
أغويتُ العبادَ بسحرِ أشعاري
وخنتُ الأنبياءَ
عاشرتُ أكثرَ ما استطعتُ من النساءِ
وشربتُ ما يكفي لتنعقَ المرايا ...
من فضاءاتِ السماءِ



- وصية :

جسدي لكمّ...

صوتيّ...

صدي صوتيّ لكمّ...

كليّ إذا كلّ الذين عرفتهمّ...

وتتكروا...

كليّ لكمّ

أحلامُ عمريّ ...

خبيتي فيكمّ ...

بقايا ذكرياتي بينكمّ ...

كُلُّ النِّسَاءِ العَابِرَاتِ بِجَسَرِ أَيَّامِي لَكُمْ

كُلُّ الدَّنَانِ الغَافِيَاتِ بِقُبُورِ أَحْلَامِي لَكُمْ

حزني.. لَكُمْ

دمعي لَكُمْ ...

ونحولُ جِسْمِي... والسعالُ لَكُمْ

لكن دعوا ...

أوراقِي السِّمْرَاءِ عَنْكُمْ ...

إنها ليست لَكُمْ ...

ليست لَكُمْ ...

ليست لَكُمْ ...

صيف ٢٠٠٥

الفهرس

٩	إلى الشام
١٧	تعائيل
١٩	أركولوجيا
٢٠	عرافة
٢٢	غرناطة
٢٣	جاليليو
٢٤	دمشق
٢٥	سته مليارات
٢٦	شفافية
٢٩	بلاد الموت
٣١	الفاوس
٣٣	يحدث أن
٣٥	لا تشترك
٣٦	بلاد الموت
٣٧	سوزان
٣٩	شهيد
٤٠	تلميذ
٤١	حرب البسوس
٤٢	دفتر العائلة

٤٤	المرايا
٧٠	أصدقائي
٨٤	حان قتلي
٩٠	شاعر
٩٥	شروق
٩٧	في الليل
١٠٠	الجنابة
١١٥	الفهرس

مسابقة الكتابة للشباب

الشعر

- ١- أبحث عنك على Google - قيس مصطفى
- ٢- تفسير جسمك في المعاجم - تمام تلاوي
- ٣- خُذ ما شئت - مناف محمد
- ٤- كلما اتسعت المدينة... ضاقت غرفتي - غياث المدهون
- ٥- لو يخون الصديق - محمد ديبو
- ٦- مفارقة العابر - محمد أبو لبن
- ٧- بعد ذلك ستعرف - فيوليت محمد
- ٨- ثمة من يراك وحشاً - جولان حاجي
- ٩- زائد عن حاجتي - هنادي زرقة
- ١٠- لا أحد يعلم كأحد - رائد وحش
- ١١- متسول الضوء - سامر محمد اسماعيل
- ١٢- من أطلق النار أولاً - معاذ اللحام

تدرج هذه السلسلة الشعرية ضمن اهتمام الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨، في اكتشاف الأصوات الجديدة في الكتابة، واختبار جيل جديد في التقاط حساسية مختلفة، تسعى إلى تأكيد صوتها وتلمس تضاريس حضورها بنسف ماهو مستقر والتطلع إلى نص آخر في مرآة أخرى.

هذه النصوص إذاً تقف في العراء، وتنتظر تحية عابرة لفحص وجودها ومقترحها الشعري، خصوصاً أن معظم هذه الأصوات تفتحم الكتابة للمرة الأولى...